

تشكيلات المقاطع الصَوْتِيَّة وتعليقاتها اللغويَّة في المباني الإفراديَّة – الصيغ الذاتِيَّة نموذجاً –

د. سعاد بسناسي

قسم اللغة العربية، وآدابها

جامعة السانِيَّة وهران

الملخَّص:

يُعتبر الاسم موضوعاً للدراسة والبحث، بُدِّلت فيه الجهود، وتعبت فيه العقول، وتواصل فيه التفكير؛ والأسماء هي تعبير مختصر عن صيغ ذاتِيَّة. وكلُّ صيغة ذاتِيَّة، هي عبارة عن مجموعة من الصَّوامت والصَّوائت، ومجموع الصَّوامت مع الصَّوائت هو ما يُشكِّل مقاطع صوتِيَّة بمختلف أنواعها، وتقسيماتها و تلويناتها. وإنَّ تشكيلات المقاطع الصَّوتِيَّة للصَّيغ الذاتِيَّة، تحتاج إلى تعليل لغويِّ لمبانيها و أصواتها؛ وذلك ما يسعى هذا الموضوع إلى تحليله وتعليله.

تمهيد:

لقد لقي موضوع الاسم، اهتمام الباحثين في مجمل مستويات اللغة، ونجد البصريين والكوفيين اتفقوا على تقديم الحديث عن الاسم بدل الفعل أو الحرف "21"، وعلّتهم في ذلك أنّ الاسم يستغني بنفسه عن الفعل؛ لأنّ الفعل فرع، ولا يستغني عن الاسم. فلماً كان الاسم هو الأصل، ويستغني عن الفعل، والفعل فرع عليه، ومفتقر إليه كان الاسم مقدّماً عليه³ وهذا التقدّم المقصود، يكون في الوجود والوظيفة، ثم في الرتبة.

ذوات الأسماء

وانطلاقاً ممّا سبق، نقول إنّ الذات مفهومٌ يُطلق على كلّ موجود في الوجود، منها: المادّي كالإنسان والحيوان والنبات والجماد؛ ومنها الحسي من كل ما تدركه الحواس، ومنها المتصورّات العقلية ومنها المتخيّل؛ ومن ثمة، فالذات هي موجود مقيس، يشغل حيّزاً من الفراغ، على حدّ قول رجال التوحيد⁴ وتوجد في المقابل، أسماء لا يمكن التعبير عنها لرفعها، وعظمتها كذات الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه هو القائم بذاته، وذاته لا يقوم بها إلاّ القديم⁵ ومن هنا، فإنّ أسماء الله الحسنى لا يُعبّر عنها بالذات.

والاسم في المفهوم العام، هو حقيقة الموجود بما هو موجود، فكلُّ اسم هو علامة دالة على مسمّى بذاته⁶ والاسم، هو الذي يميّز الموجود ويخصّصه، وإن كُنّا نتحدّث عن الذوات، فإنّنا في حقيقة الأمر، نقصد الحديث عن أسماء هذه الذوات. وكلُّ اسم يجب أن يقترن بمسمّى يدلُّ عليه، وذلك رغم وجود الاختلاف في أصل اشتقاق هذا المسمّى؛ و تتفق معظم الآراء على أنّ الاسم علامة للمسمّى كيفما كان نوعه، وكيفما كان عدد مكوناته، ومنه يكون البدء بمكونات الصيغ الذاتية الثلاثية؛ لتحليل مبانيها وكمياتها الصوتية.

مكوّنات الذاتيات الصيغ الثلاثية

إنّ دراسة الصيغ الحديثة – (الأفعال) – تركز أساساً على الأوزان وحركة عينها؛ أمّا دراسة مباني الصيغ الذاتية، فنقوم من خلال تشكيلاتها الصوتية، وذلك أنّ اللغويين لم يخصّصوا للذوات أوزاناً كالذي خصّصوا به الحديثيات. ويتحدّث (سيبويه) عن مكوّنات الذوات، فيرى أنه ليس في الدنيا اسم أقلّ عدداً من اسم على ثلاثة أحرف، ولكنهم قد يحذفون ممّا كان على ثلاثة حرفاً، وهو في الأصل له ويردّونه في التّحقيق والجمع⁷ وإن كنا نلاحظ، زيادة في صوامت الصيغ على مجموع أصولها أثناء التّحقيق، والجمع مثل (رجل، رجيل، ورجال).

واتّفق معظم اللغويين، على أنّ أصل الصيغ العربية ثلاثي، وذلك على اختلاف أنواعها، حرف يبتدأ به، وحرف تحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه⁸ ومن آراء المحدثين حول أبنية الأسماء، أنّ الأصل الثلاثي، هو النواة الأساسية⁹ وإن وجدت آراء تخالف هذا؛ فإنّ الأغلبية تجمع على ثلاثية أصول الصيغ.

وجاء في (متن الشافية) عن أبنية الاسم الثلاثي، أنّه للاسم الثلاثي المجرّد عشرة أبنية، والقسمة تقتضي اثني عشر، سقط منها فِعْلٌ وفِعْلٌ استثقلاً وجُعِلَ الدُّلُّ منقولاً، والحَبْكُ إن ثبت فعلى تداخل اللغتين في حرفي الكلمة، وهي فِلْسٌ كَتِفٌ عَضُدٌ حَبْرٌ عِنَبٌ إِبِلٌ قُفْلٌ صُرْدٌ عُقٌّ¹⁰ وجميع ما جاء به صاحب المتن، هي أمثلة دون ذكر موازينها.

مع أنّ المباني الثلاثة الأولى معلّلة صوتياً، فالصفة الأولى مضمومة البداية مكسورة الوسط، وهي مقبولة في أصلها لمجيئها على هيئة الماضي

المبني للمجهول، والثانية منعدمة في أصل العربية لمجيئها على صيغة (فعل) التي قال فيها سيبويه: « ليس في الكلام حرف أوله مكسور والثاني مضموم¹¹ وإن وجد في مثل (السُّنُون) فهو إمَّا شاذ أو غير عربي؛ والتعليل الصوتي لهذه التركيبة المورفولوجية، أنَّ النَّاطِقَ بها ينتقل من أسفل إلى أعلى متصعدًا وهو ثقيل مستقبح.

و الملاحظ، أنَّه في الحديث عن الأفعال، يقول الدَّارِسُون (أوزان الأفعال) وحينما يتحدَّثون عن الأسماء يقولون (أبنية الأسماء) ولا يأتون للأسماء بأوزان ثم يقيسون عليها؛ وإنما يأتون بمواد و يقيسون عليها أسماء أخرى تشبهها، وتوافقها في الوزن، أي في عدد الصَّوَامت، وترتيب الصَّوَائت. وما جاء به (ابن الحاجب) من أمثلة وأدرجها ضمن الأسماء، ليست كلها أسماء ذوات، بل فيها نظر؛ إذ نجد العنوان يشير إلى أبنية الأسماء، وهو في تعريفه وتمثيله لها يقم معها الأوصاف، وكأنَّ الذَّوَات لم تحقِّق له مادَّة كاملة، فلجأ إلى الأوصاف وأضافها إليها، وجعل لها عشرة أبنية، وإن كانت القسمة تقنضي اثني عشر، فقد أعطى لصامت صدر الصيغة الذاتية ثلاثة صوائت (الفتحة والكسرة والضمة) باستثناء السكون وذلك لتعذر الابتداء به، ولعيناها أربعة صوائت (فتحة وكسرة وضمة ثم سكون) وبإجراء عمليَّة ضرب، يكون مجموع الصيغ اثني عشر صيغة، تغيَّر شكلها وتشكيلها، وكذا دلالتها بتغيُّر أصواتها بتأثير عوامل الصوت في نطقها.

ودليل تحويل الصوت للصيغ الذاتية، وتأثيره فيها هو إقرار الصيغ التي سهل نطقها، في مثل: (فعل نحو فَلَْس، وفعل نحو فَرَْس، وفعل نحو كَبِد، وفعل نحو عَضُد، وفعل نحو عَدَل، وفعل نحو إِبِل، وفعل نحو عِنَب، وفعل

نحو قُفْلٍ، وفُعْلٌ نحو قُفْلٍ"¹² وهنا جعل صاحب النص، لكل اسم وزناً سابقاً له، خلافاً لما رأيناه في النص السابق.

وفي المقابل سقط منها (فُعِل، وفِعْل) لتقل النطق بهما؛ لأنَّ الخروج من الكسرة المستقلة المنخفضة إلى الضمة ثقيل لاستعلائها، ولم يذكر (ابن الحاجب) صوائت لام الصيغ الذاتية؛ لأنه اعتبر اللام صوتاً يُوقَف عليه، فهو دائماً في الصيغ المذكورة منونٌ؛ ولكنه أهمل التتوين ورجَّح الجانب الصرْفِي على النحوي، في حين أنَّ التتوين هام وأساسي في الصيغ الذاتية، لأنه يلوِّن ويغير شكل الصيغ ومادتها، وتحليل التشكيلات الصوتية للأبنية الذاتية الثلاثية، ندرج فيما يأتي جدولاً موضحاً لها؛ بدءاً بالفتح، فالضم، والكسر، والتتوين والمكروور"¹³ ثمَّ السكون.

جدول التلوينات الصوتية للثلاثي

المكوّنات	الضمة	الفتحة	الضمات	الكسرات	التتوين	المكروور	السكون
ثلاثية	عشرة	30	07	05	05	05	03
النسبة							
	%23,33	% 16,66	% 16,66	%33,33	% 0,0	%10,0	

مع مكوّنات الجدول

يظهر في هذا الجدول، شيوع التتوين وتقدّمه على غيره، متبوعاً بالفتح، وتوافق صائتا الكسر والضمّ، وتأخّر السكون الذي لم يعتبره اللغويون صائتاً، وشيوع التتوين هنا، أمر مهم بالنظر إلى قوالب الصيغ ومكوّناتها، ومن

المتفق عليه أنّ الذوات لا يدخل السكون أواخرها، وما جاء هنا، جاء في وسط الصيغة الحديثة، وصانت وسط الصيغة مجاله الحداثيات، وغير الساكنات الأواسط هنا، فيها نظر عند المورفولوجيين العرب، وهناك قاعدة تذهب إلى أنّ: كل اسم ثلاثي ساكن الوسط، يجوز تحريكه، وتسكينه، ويصبح في جميع الصيغ الذاتية الثلاثية وجهان: الحركة والسكون؛ والسكون ضرب من التمكين.

ومن أسماء التنوين اللأحق بالذوات، تنوين التمكين؛ وهو علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستقلون¹⁴ وإذا شاع التنوين هنا، فمعناه غلبة الخفة على الثقل، وإذا قلنا بهذا، يكون قد انتفى عن السكون صفة الخفة الموصوف بها عند معظم اللغويين، وهذه نظرة جديدة في كميات الصوائت ووظائفها، بل وحتى في تصنيفها؛ لأنّ السكون لا يعدّ من الصوائت العربية في الدراسات العربية؛ وحديث التنوين ووظيفته، يتضح في موضوع التراكيب بأكثر من هذا.

ولا ننساق مع الصوائت هنا كثيرا، لأنّ الذوات لا تعمل فيها الصوائت عمل الصوامت، وإن كان للصوائت تأثير عليها، فهو دون مكوناتها من الصوامت، وإذا كان التنوين موقعه نهايات المباني الذاتية، فإنّ الصوامت العاملة في تحديد المباني موضعها النهايات غالباً، وفي الوقف عليها بالسكون إزالة للصائت من نهاية الصيغة الموقوف عليها.

وسنقدم لهذا جدولاً توضيحياً، يعبر عن شيوع الصوائت من التشكيلات الصوتية الذاتية الثلاثية، ومن بعده يأتي ذكر لوحة إحصائية إجمالية للمقاطع الصوتية لهذه الصيغ؛ ثمّ تحليل المجاميع والنسب التي توصلنا إليها من كلّ هذا، ويكون البدء بالرسم التوضيحي، فيما يلي¹⁵:

جدول صوتيات الثلاثي

ط	س	ق	م	م	غ	ف	التقطع اللغوي	الميزان الصرفي	العروضي	الصيغة اللغوية
	02						صعص/صعص	فَعَلَّ	فَعَلَّنْ	صَفَّرْ
	01				01	02	صع/صع/صعص	فَعَلَّ	فَعَلَّنْ	جَبَلَّ
	02				02		صعص/صعص	فَعَلَّ	فَعَلَّنْ	قَفَّلَّ
	02				02		صعص/صعص	فَعَلَّ	فَعَلَّنْ	جَذَعَّ
	01	02			01	02	صع/صع/صعص	فَعِلَّ	فَعِلَّنْ	كَبِدَّ
	01	02			01	02	صع/صع/صعص	فَعِلَّ	فَعِلَّنْ	رَجَلَّ
	01	02			01	02	صع/صع/صعص	فَعِلَّ	فَعِلَّنْ	صِرَدَّ
	01	02			01	02	صع/صع/صعص	فَعِلَّ	فَعِلَّنْ	أُذِنَّ
	01	02			01	02	صع/صع/صعص	فَعِلَّ	فَعِلَّنْ	عَنَبَّ
	01	02			01	02	صع/صع/صعص	فَعِلَّ	فَعِلَّنْ	إِبِلَّ
0	13	14	0	0	13	14	27		المجاميع	
0	59,2	51,8	0	0	48,1	51,85	النسب			

مع مكونات الجدول

اشتمل هذا الجدول على أحد عشر وادياً، الأربعة الأولى منها للحروف، والباقية للأرقام والأعداد. واختصت الحروف بالدلالة على الأسماء الثلاثية من الذوات، وما يعادلها من الموازين المكوّنة من الصوامت والصوائت.

ومن هذه النظرة الأولى، تظهر الوظائف الصوتية عاملةً موجهةً مؤسسةً للموازن؛ وتبقى الأرقام في مجال اللغة الشارحة المعبرة عما جاءت به الصوامت والصوائت.

ونقول قبل التحليل، إنَّ الرَّمز العددي في حساب المفردات والجمال يعطينا القيمة الخفية، وذلك بتعويض القيم العددية إلى حروف مساوية لها، نحو: (20،400،01،02) المساوية صوتياً لصيغة (كتاب)؛ فهل نستطيع إيجاد رموز صوتية تعطينا الأصوات الغائبة؟ مثلاً المقاطع الصوتية التالية: (صع/صع/صع) إذا حاولنا إيجاد الصيغة المساوية لها؛ فإننا نقع أمام عدّة صيغ احتمالية، قد تكون: (كِتَابٌ أو رِمَالٌ أو جِمَالٌ أو لِبَاسٌ) فالصّيح كثيرة، والمقطع الصوتي، يعطينا عدّة احتمالات، والمقطع الشعري كذلك مثل الصوتي في وجود هذه الاحتمالات، فتفعيلة (فَاعِلُنْ) تشترك فيها صيغ عدّة، نحو: (مَالِكٌ أو شَاهِدٌ أو سَالِمٌ...) وغيرها من الصيغ على الوزن نفسه.

ونرى بضرورة التوصل إلى مقطع مناسب، يعطينا الصوت الغائب (الشفرة)، فلا المقطع الصوتي ولا الشعري يعطيان لنا هذا؛ لأنّ المقطع هو وعاء صوتي قابل لعدّة احتمالات ومختلف التوقعات التي تختلف في دلالاتها، وتتفق من حيث كميّتها الصوتية التي تعبر عن فكرة؛ لأنّ المقطع يساوي فكرة ويعبر عنها.

وبالرجوع إلى وديان الجدول الإحصائي السابق الذكر، بحسب رتبته وترتيبه، يظهر في أوله وادي الذوات بالوزن والتعيين والتّمثيل، وقد اختيرت هذه الأسماء؛ لتكون متطابقة مع موازينها الصوتية، وما يلفت الانتباه هنا، أنّ الموازين يراعى فيها دائماً مطابقتها للموزون؛ ولكنها هنا على غير ذلك؛ إذ يتم اختيار اسم الذات المتطابقة مع الميزان، وكأنّ الميزان صار سابقاً

للموزون، وما ذلك إلا أحكام مُسبقة يترتب عنها إقصاء أسماء ذوات، واعتبارها غير عريبة أو شاذة عندما تختلف بنيتها وتشكيلها عن المقياس الصوتي المتخذ من أجل قياسها.

وجاء بعد كل اسم ثلاثي ثلاثة وديان تزنه، وتؤكد مدى مطابقة هذا الاسم للمقاييس الصوتية، وأصبح كل اسم ذاتي ثلاثي المكونات لا يكتسب شرعيته إلا بعد أن توافق عليه الموازين الصوتية الثلاثة التي هي: الميزان الشعري بتفصيلاته، والصرفي بصوائته، واللغوي بمقاطعته؛ وما خالف هذه الموازين وتخلّف عنها ينتحى عن مجال الاستعمال الرسمي.

وبالنظر إلى صوامت التشكيلات العاملة فيما سبق، فقد اختيرت على أساس المطاوعة والليوننة في المعاملة مع الصوائت؛ ومن المعلوم أنّ للتشكيلات الصوتية في المباني المورفولوجية ثلاث حالات، سماها اللغويون المتمكّن الأمكن، والمتمكّن غير الأمكن، وغير المتمكّن وغير الأمكن، والأوّل منها هو الذي يتعامل مع كلّ الصوائت إفراداً وتكريراً، وسّموه المنصرف وهو المنون أيضاً.

وبالرجوع من جديد إلى أسماء الذوات الوارد ذكرها من قبل، نجدها كلها منونة مصروفة فهي من المتمكّن الأمكن، وتكرّر التّوين في جميع وديان الجدول شكلاً ونطقاً، وظهرت النون معبرة بغنتها عن تمكّن جميع ما ورد من الأسماء، والتّوين نون ساكنة منطوقة غير مرقونة عند اللغويين؛ ومن هنا، فهي وسط بين الصّوامت والصّوائت، أو لنقل: التّوين هو الصّوت الذي يجمع بين الصّامت والصّائت؛ وهو علامة التّمكين، ومن نظرة أخيرة للجدول، يظهر أنّ التّوين الذي هو صورة صوتية منطوقة مرسومة، هو

علامة التمكن؛ ومن هنا أيضاً، نقول الصوت هو العامل الموجّه المخصّص للمبنى المورفولوجي.

ويعبر عن التّون عند التقطيع اللغوي، بالمقطع المغلق (صعص) كالباء المنوّنة في (كتاب) أو إغلاق المفتوح (صعصص) كالوقوف على كلمة (بحر) بالسكون؛ وباستتقاق نهايات أرقام الجدول، يمكن أن نصف تشكيلات الذوات الثلاثية البناء بأنها رباعية الأوصاف في ترتيبها؛ وجاءت على التّظيم الآتي: المتوسطة، فالمفتوحة، وبعدها القصيرة، ثمّ المغلقة، فقد احتلت المقاطع المتوسطة الرتبة الأولى، وجاءت المغلقة في الرّابعة، وهذه الرّتب حدّدها الصوت بمقاطعها اللغوية؛ وهذا جميعه في التّشكيلات الثلاثية، وقد يكون فيما فوقها متطابقاً معها أو مخالفاً لها، وعامل الصوت هنا، يكمن في سقوط الأوزان الثّقيلة النطق؛ وجميعه هو ما سيظهر لاحقاً؛ ومن بعد هذا، يأتي حديث أبنية الأسماء الرباعية وتحديد عامل الصوت في توجيهها، وتلويحاتها المختلفة.

مكوّنات الرباعي:

للصيغ المورفولوجية الذاتية الرباعية أربعة أبنية، قال فيها ابن الحاجب: (وللرباعي خمسة: جَعْفَرٌ، زِبْرَجٌ، بُرْثُنٌ، دِرْهَمٌ، قِمَطْرٌ، وزاد الأَخْفَشُ نحو جُخْدَبٌ)¹⁶ وجاء صاحب هذا النص، بأمثلة للأسماء الرباعية؛ أمّا أوزانها فهي: (فَعْلٌ، وفُعْلٌ، وفُعْلٌ، فَعْلٌ، فَعْلٌ + فُعْلٌ) وهذا الوزن الأخير، ذكره (الأخفش) وبه يكون عدد أوزان الصيغ الرباعية ستة.

تكرّرت الكسرة أربع مرّات في الصيغ الآتية: (درهم) في موقعيّة البداية، ومرّتين في (زبرج) حيث جاءت فاؤها ولامها الأولى مكسورتين، و(قمطر) كسرت فاؤها كذلك؛ ثم تليها الضمة ثلاث مرّات، في: (برثن) مرّتين وفي

(جُخَدَبٌ)؛ وفاقَت الفتحة مجموع صائتي الضمّة والكسرة؛ حيث بلغ عدد الفتحاح في الصيغ الرباعيّة خمساً، واحتلّت بذلك الصّدارة، وبقي نزاع الشُّبوع بين الكسرة الدّقيقة الرّقيقة التي فاقت الضمّة هنا، وتأخّرت بذلك الضمّة عنها التي يقال عنها، إنها دليل القوّة والثّبات في المباني الموفولوجية، وبخاصة الحديثية منها.

ويكمن دور عامل الصّوت، وتوجيهه لشكل ودلالة الصيغ المورفولوجيّة الدّائية الرباعيّة، في عدم توالي أربع حركات في صيغة واحدة، نحو الفعل الماضي (كَتَبْتُ) المسند إلى المفرد المتكلّم، حيث سُكِنَت الباء وحقّها النّصب، وذلك لدفع كراهة توالي أربع متحركات¹⁷ مع وجود هذا التّتابع في مثل هما (كَتَبْنَا) ويهدف كل تنظيم صوتي إلى تحقيق الانسجام بين المكوّنات، وإن وردت أمثلة من هذا النوع، فهي متغيّرة عن الأصل. ونخلص من ذلك، إلى أنّ الرباعي من الصيغ الدّائية، لا بدّ من إسكان ثاني صوامته أو ثالثها، وتعليل ذلك صوتي؛ يتمثّل في تحقيق الانسجام والتّوازن بين المكوّنات، وتحقيق تكامل نطق الصيغ، الذي يحصل بالزيادة أو النقصان، كما رأينا مع المد سابقاً.

والملاحظ، أنّ هذه الأوزان تعدّدت أشكالها؛ لاختلاف صوائت صوامتها، وما يلفت الانتباه فيها، أنّ فاءها غلب عليها صائت الكسرة — من بعد الفتحة الحيادية الشائعة في غالب الأحوال — لأنّ كمية الكسرة في حدّ ذاتها، أقوى من غيرها، كما أنّ كثيراً من الصيغ تمال عند النطق بها نحو الكسر¹⁸ وسنتطرّق إلى الشّكل، ومختلف الكمّيات الصّوتية في موضعها من هذا البحث؛ ولتحليل التّشكيلات الصّوتية للصيغ الدّائية الرباعيّة، هذا تلخيص لمكوّناتها — كما رأينا مع الثلاثية — في الجدول الآتي:

جدول تشكيلات الرباعي

السكون	المكروور	التنوين	الكسرات	الضمات	الفئات	الصوائت	الصيغ	عدد المكونات
05	01	06	04	03	05	24	06	رباعية
%20,83	%4,16	%25	%16,66	%12,5	%20,83	النسبة		

وقفه مع الجدول

يظهر من مكونات الجدول السابق للتشكيلات الصوتية للذوات الرباعية، أن مجموع صوائتها الإجمالي (24) صائتاً، شاع فيها التنوين، مقارنة ببقية الصوائت؛ وبلغ مجموعه ستة صوائت مكروورة، بنسبة (25%)؛ حيث حافظ على رتبته التي وجدناه عليها في الثلاثيات، ومن بعده الفتحة والسكون في رتبة واحدة بمجموع خمسة صوائت؛ مع أن التنوين والسكون يلتقيان في التركيز الصوتي؛ ومن هناك، قالوا في التنوين (هو نون ساكنة). ومن بعدها الكسرة، فالضمة ثم المكروور.

ومن هذه الرتب والمجاميع، تظهر أهمية السكون من بين الصوائت العربية؛ من خلال ما شغله من مساحة في مجال الذوات، بالرغم من غيابه في موازين الحديثيات، وغياب الإشارة إلى دلالاته في الصيغ والتراكيب، وفي الصيغ الخمسة الأولى كان موقع السكون منها مع الصامت الثاني، وفي الصيغة السادسة مع الصامت الثالث، وسبقته الكسرة في صيغتين والضمة

كذلك، وجاء مسبقاً بالفتحة في صيغة واحدة؛ وبعد تقديم الجدول السابق بمكوناته وأعداده، هذا تلخيص لشيوع الصوائت من تشكيلات الرباعي، في الرسم الآتي:

جدول المقاطع الصوتية للرباعي

كميات المقاطع			نوعية المقاطع				التقطيع الصوتي	أوزان الرباعي
ط	س	ق	م غ	مف	غ	ف	صعص/صع/صعص	فَعَلَّ
	02	01			02	01	صعص/صع/صعص	فَعِلَّ
	02	01			02	01	صعص/صع/صعص	فُعِلَّ
	02	01			02	01	صعص/صع/صعص	فَعَلَّ
	02	01			02	01	صعص/صع/صعص	فَعِلَّ
	02	01			02	01	صعص/صعص/صعص	فِعَلَّ
00	12	06	00	00	12	06	18	المجموع
%0	%66,66	%33,33	%0	%0	%66,66	%33,33	النسبة	

رأي في الجدول:

تكوّن الجدول السابق من حيث عدد خاناته وتقسيماته، وعناوينه كسابقه المرسوم في إحصاء المقاطع الصوتية للصيغ الثلاثية¹⁹ عدا خانة المقاطع العروضية، ومع اختلاف المكونات الداخلية طبعاً؛ حيث بلغ مجموع المقاطع الصوتية للصيغ الرباعية (18) مقطعاً، وكان عدد المقاطع المغلقة من حيث مجموعها ونسبتها ضعف المقاطع الصوتية المفتوحة، بمجموع (12) مقطعاً

وبنسبة قدرها (66,66%)، ومثلها المقاطع المتوسطة من حيث الكم في المجموع والنسبة، وانعدمت المقاطع المزدوجة بنوعيتها المفتوحة والمغلقة من حيث النوع، كما انعدمت المقاطع الطويلة من حيث الكم.

وعلى أساس مراعاة المراتب والمواقع، فإن جميع موقعيات الوسط احتلتها مقاطع قصيرة، وجاءت وسطا بين مقطعين متوسطين؛ فكان المقطع القصير هو الوسيط، وهو موطن التلاقي بين مقطعين متوسطين، وبهذا التوزيع الصوتي لكميات المقاطع، يتحقق للتركيبية المورفولوجية الرباعية انسجامها باعتدال مكوناتها.

وإذا عدنا إلى العامل الصوتي فيما ورد من مقاطع، وفيما انعدم منها، فإنه يقودنا إلى مبدأ الخفة والانسجام الصوتي، وكذا مراعاة مبدأ الاقتصاد في الجهد؛ ودليل ذلك خلو هذه الصيغ من المقاطع المزدوجة؛ أي المركبة لتقل النطق بها، وشاعت المقاطع المغلقة، ومن بعدها المفتوحة، ثم المتوسطة؛ وهذا حديث أبنية الصيغ الذاتية الخماسية.

تشكيلات الخماسي:

للصيغ الذاتية الخماسية أربعة أبنية، ذكرها (ابن الحاجب) في قوله: (وللخماسي أربعة: سَفَرَجْلٌ، قِرْطَعْبٌ، جَحْمَرِشٌ، قُدْعَمَلٌ)²⁰ وإن حيدنا صيغة (فَعَلٌ)²¹ التي أتت صفة؛ لأنه ذكر أمثلة، ولم يأت بأوزان، فقد استدرك هذا الأمر صاحب (فتح اللطيف) وذكر الأوزان وألحقها بأمثلة، ورغم هذه الإضافة المسجلة؛ فإنه كان يمزج بين الذوات والأوصاف. وذلك ما سجلناه في حديث (ابن الحاجب) عن أبنية الصيغ الذاتية الخماسية، مما جعلها خمسة أبنية، وهي في الحقيقة أربعة للسبب المذكور سابقاً.

وما نشير إليه في حديثنا عن أبنية الصيغ الذاتية الرباعية والخماسية، أن فيها نظراً، سيما ما يتعلّق بعدد كلّ نوع، ويرى (الأسترأبادي) في شرحه للشافية اعتماداً على الحساب، والتقليبات الاشتقاقية أنه كان ينبغي أن يكون للرباعي خمسة وأربعون بناءً، وذلك بأن تضرب ثلاث حالات الفاء، في أربع حالات العين، فيصير اثني عشر، تضربها في أربع حالات اللام الأولى أن يكون ثمانية وأربعين، يسقط منها ثلاثة لامتناع احتمال الساكنين؛ وكان حقُّ أبنية الخماسي أن تكون مائة وأحدا وسبعين²².

ومن هنا نقول: لو تحقّق هذا العدُّ الحسابي لإثبات كلِّ هذه الصيغ، لكان شكل الصيغ أكثر ممّا ورد سابقاً، وحينها يلعب العامل الصوتي دوراً هاماً في توجيه نطقنا؛ للتفريق بين كلِّ هذه الصيغ؛ ولكن ما جاء به شارح الشافية، كان مجرد احتمالات ولم تتحقّق استعمالاً.

وجاءت فاء هذه الصيغ المورفولوجية، متنوّعة الصوائت: بالفتح والضّم والكسر، مفتوحة في (فعلّ نحو سمولّ) ومضمومة في (فعلّ نحو خزعبلّ) ومكسورة في (فعلّ نحو قرطعبّ)، وبالنظر لصوائت كلِّ من العين، واللام نجد التساوي كذلك؛ للعين فتحتان، واللام كسرتان، مقابل سكون واحد للعين، وغياب الضمة هنا.

وفيما ذكرناه من الصيغ، تظهر وظيفة الصوت بارزة في توجيه الأداء ورفع اللبس، فقد جاءت التلويحات الصوتية مميزة لكلِّ صيغة عن أختها، فالصوائت خمسة في كلِّ بناء؛ ولكن مواقع الصوائت هي التي نوّعت هذه التشكيلات وميّزت بينها.

وهناك من يرى، أن أصل الصيغ الذاتية، ثلاثي أو رباعي؛ أمّا الصيغ الخماسية، فهي أسماء مُعرّبة، ولا توجد في الأصل العربي²³ ومثال ذلك: (إسماعيل، وإبراهيم، وطالوت، وجالوت) ووُجد في

الاستعمال ما يخالف هذه القاعدة، بدليل ما ذكرناه من أمثلة عن أبنية الخماسي، الذي تكون مجموع صوامته أصلية لا زيادة فيها، وهذا جدول تلخيصي لتشكيلات الصيغ الخماسية.

جدول تشكيلات الخماسي

عدد المكونات	الصيغ	الصوائت	الفتحات	الضمات	الكسرات	التنوين	المكرور	السكون
خماسية	04	20	06	02	03	04	03	02
النسبة			30%	10%	15%	20%	15%	10%

مع المكونات

لقد بلغ مجموع الصوائت في الصيغ الخماسية عشرون صائناً (20)، وشاع فيها صائت الفتحة مقارنة ببقية الصوائت، وكان مجموعها (06) ونسبتها (30%)، ومن بعدها التنوين بمجموع (04) ونسبته (20%) وكانت موقعيته آخر الصيغ الأربع، ثم الكسرة والمكرور في رتبة واحدة وبمجموع واحد (03) بنسبة (15%)، ومن بعدهما الضمة التي كانت أقل شيوعاً فتكررت مرتين بنسبة (10%) واحتلت موقعية البداية من صيغتين مرة واحدة في كل منها؛ ومما يلاحظ هنا، أن شيوع الصوائت في أبنية الثلاثي والرباعي والخماسي، كان يتقدمها في الغالب الفتحة والتنوين والكسرة ثم السكون. ووجدنا في كل بناء صدارة الكسرة عن الضمة - عدا تساويهما في الثلاثية - وللتذكير؛ فإن مجموع الكسرات والضمات في الثلاثي والرباعي والخماسي كالآتي:

جدول صوائت الصيغ

الصيغ	الكسرة	الضمّة
الثلاثية	05	05
الرباعية	04	03
الخماسية	03	02
المجموع	12	10

جدول المقاطع الصوتية في الخماسي

كميات المقاطع			نوعية المقاطع الصوتية				التقطيع الصوتي	أوزان الخماسي
ط	س	ق	م ق	م ف	غ	ف		
	02	02			02	02	صع/صعص/صع	فَعَّلَّ
	02	02			02	02	صع/صعص/صع	فَعَّلَّ
	02	02			02	02	صعص/صع/صعص	فَعَّلَّل
	03				03		صعص/صعص/صعص	فَعَّلَّ
00	09	06	00	00	09	06	15	المجموع
%00	%60	%40	%00	%00	%60	%40	النسبة	

وقفه ورأي

لقد أشرت من قبل، إلى أهمية المقطع الصوتي باعتباره الوحدة القاعدية للغة، ولم أتوسع في ذلك، انتظاراً لنتمة الحديث عن جميع كميات الصيغ الذاتية، من الثلاثية حتى الخماسية، وميزت الذاتية على أساس أنها عنصر الإسناد، والتقى بعد الصيغة الذاتية مع المقطع، باعتبارها وحدة الإسناد، والمقطع وحدة البناء.

ولما كان المقطع الصوتي كميات متتابعات، فهو يمثل سلسلة كلامية، متألّفة الحلقات متتابعة متناسقة معبرة عن خلفية فكرية. في أفراد أو تركيب ويحمل كل تركيب منها خصائص تعكس الصورة الذهنية والدلالات المرتبطة في السياقات اللغوية، وسياقات الحال، وفق تنوعات صوتية منتظمة²⁴ ومن هنا، كان المقطع وحدة فكر وتفكير، قبل أن يكون وحدة صوت وتصويت.

ومن هذا المنظور، تكون المقاطع الصوتية شحنات فكرية مرسله من الناطق إلى المتلقي، مؤثرة على جهازه العصبي بنوعية ما تحمله من صوائت وصوامت، ومن هذا المنظور، عرّف (الفارابي) المقطع بأنه كل حرف غير مصوّت، أتبع بمصوّت قصير، ويسمى هذا بالمقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف لمتحرك، وكل حرف لم يتبع بصوت أصلاً²⁵ وحركات المقاطع وسكناتها، هي انعكاسات لخلاجات النفس والفكر. ومن هنا، بات من الممكن إقامة العلاقة بين كميات المقاطع ونوعها مع خلفيات ما تحمله من دلالات.

وفي هذا الجدول الذي يجمع مقاطع الخماسي، نسجّل حضور نوعين من أربعة، هما المفتوح والمغلق، وغاب مزدوجا الانفتاح والانغلاق، وفي الكميات حضر نوعان أيضاً هما القصير والمتوسط، وغاب المقطع الطويل.

وفي ما بين الكم والنوع حضر أربعة وغاب ثلاثة، ومع ذلك حصل التوافق في الحضور بين النوع والكم، وهو حضور المفتوح والمغلق القصيران في النوعيات، والقصير والمتوسط في الكميات. ومن هنا حصل التوافق والانسجام في مقاطع الجدول المخصّص للصيغة الخماسية الذاتية؛ وتبقى ظاهرة الانسجام تنتظر التعليل.

من الملاحظ، أنّ مقاطع الجدول لا تعبّر عن ذوات مع أنّها في موضوعها ومجالها، وإنّما تعبّر عن موازين الذوات التي كانت أربعة، والمقاطع الحاضرة أربعة، والميزان ينتظر منه التساوي في ما يوزن به، وقد حصل هذا التوازن والتوافق هنا، في العدد والنسب التي تساوت فيها نهايات الخانات، وكانت خلاصة وصفها في ما هو آت.

لقد شاعت المقاطع المغلقة من حيث نوعها، من خلال مجاميع ونسب المقاطع الصوتية للصيغ الذاتية الخماسية، بمجموع (90) ونسبة بلغت (60%)؛ وكان عدد المقاطع المفتوحة (06) بنسبة (40%) وغابت المقاطع المزدوجة بنوعيتها. أمّا من حيث الكمية؛ فشاعت المقاطع المتوسطة ومائتت المغلقة من حيث المجموع والنسبة، ومن بعدها القصيرة بمجموع ونسبة يماثلان ما رأيناه مع المقاطع المفتوحة، وانعدمت المقاطع الطويلة.

الهوامش:

- 1-2. ويمكن تقديم حديث الأسماء عن الأفعال، من وجهة نظر دينية؛ لأن الله تعالى علّم آدم الأسماء أولاً، وهذه نظرة خاصة بصاحبها، محمد متولي الشعراوي، في كتابه أسئلة حرجة، وأجوبة صريحة؛ حيث يقول: (إن منشأ العلم الأسماء... أي أن أي إنسان لا يستطيع أن يبدأ التعلّم إلا إذا عرف معاني الأسماء تماماً كما علّم الله آدم... مبتدئاً بالأسماء). ص 183، دار العودة، بيروت.
3. أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 84، تحقيق مازن مبارك، ط 4، بيروت، (1402هـ/1982م).
4. أبو زيد القيرواني، الثمر الداني، ص 9، شرح وجمع صالح عبد السميع الأبّي الأزهرى، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، (1987م). وعن الذات يقول (عبد القادر عبد الجليل) هي ما: "شغلت حيزاً في الطبيعة". علم الصرف الصوتي، ص 262، ط 1، عمان، (1998م).
5. أبو زيد القيرواني، الثمر الداني، ص 12.
6. مكي درار، مقال خلفيات التقاطع بين الأسماء والألقاب والكنى، ص 79.
7. سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 322، س 2.
8. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج 1، ص 55، تح، عبد الله درويش، مط، العاني، بغداد، ط 1، (1967م).
9. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 44. وقام بدراسة إحصائية باستخدام الكمبيوتر، في معجمه الجيم والكمبيوتر، توصل إلى أنّ: "عدد الجذور الثلاثية بلغ 2931 جذراً بنسبة 80,93%؛ والجذور الرباعية 647 بنسبة 17,97%، والجذور الخماسية 39 بنسبة 1,08% نفسه، ص 44، بتصرف.
10. ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 35. و ينظر، ابن جني، التصريف الملوكي، ص 04/03، تصحيح، وشرح، محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، ط 1، مط، شركة التمدن الصناعية، مصر.

- 11 - سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 146. س 12. وقال في موضع آخر: (ليس في الدنيا حرف أوله مكسور وثانيه مضموم).
- 12 - عمر بن أبي حفص الزموري، فتح اللطيف في التصريف على البسط والتعريف، ص 61.
- 13 - أثرنا ذكر مجموع التتوين والمكروور: (التضعيف)، حتى يكتمل الحساب من جهة، ولأهمية التتوين كما ذكرنا من جهة أخرى، ولنا عودة إليه، من خلال تحليل مكونات الجدول، وكذلك أهمية السكون جعلتنا ندرجه؛ قصد تحليله.
- 14 - سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 22.
- 15 - ونشير إلى أن الرمز (ف) هو مقطع مفتوح، و(غ) مغلق، و(م/ف) مزدوج الانفتاح، و(م/غ) مزدوج الانغلاق، و(ق) قصير، و(س) متوسط، و(ط) طويل، وأن هذه الرموز ستكرر في جداول هذا الفصل، وغيرها بهذا الشكل.
- 16 - ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 47. والزموري، فتح اللطيف، ص 59.
- 17 - محمد محي الدين عبد الحميد، شرح الأجرومية، ص 75.
- 18 - مكي درار، الوظائف الصوتية والدالية للصوائت العربية، ص 125.
- 19 - ينظر تفصيل الحديث عن المقاطع وتقسيماتها عند، ديفيد ابر كرومي، مبادئ علم الأصوات العام، ص 55 وما بعدها، ترجمة وتعليق محمد فتوح، ط 1، (1988 م).
- 20 - ابن الحاجب، متن الشافية، ج 1، ص 47.
- 21 - الزموري، فتح اللطيف، ص 60.
- 22 - رضي الدين الأسترأبادي، شرح الشافية، ج 1، ص 47.
- 23 - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 229، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت).
- 24 - عبد القادر عبد الجليل، هندسة المقاطع الصوتية، وموسيقى الشعر العربي، ص 47، مط، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، (1998م).
- 25 - أبو نصر الفارابي، الموسيقى الكبير، ص 10، 75، تح، وشر، غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير، محمود أحمد الحفني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.